من دلالة الحرف في القرآن
(حروف مختارة للدراسة)

أ. **حنان علي بالنور**
قسم اللغة العربية /كلية الآداب/ جامعة المرقب

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد المصطفى من خلقه لتبليغ الرسالة وبيانها، وعلى آله وصحبه الطيبين الأخيار الذين اتقوا ربهم، وساروا على هدى رسولهم الكريم، فنالوا الفهم لمعاني الكتاب ودلالاته، ولمسوا لطائفه، وعرفوا أسراره.

أمَّا بعد؛ فإنَّ الله ﷻ أنزل كتابه هدى للعالمين، وهدايته لا تتأتى إلاَّ بالتدبر، والتأمل، وفهم مراد الله منه؛ لذلك ربط ﷻ التأمل والتدبر بالمؤمنين الصادقين، ووبَّخ المعرضين عنه في كثير من آياته؛ لأنّه أصل الوقوف على معانيه. ومن وجوه التدبر إمعان النظر والتفكير في سياق آياته، والربط بينهما وصولاً للمراد من خلال دلالاته.

ومن تدبره وتأمله يتوصل إلى تفسيره، ولقد سلك أصحاب المعاني، المفسرون طرقًا لتفسيره، منها تفسير القرآن بالقرآن الذي يعتمد تفسير السياق، وفهم الدلالة بكل وجوهها؛ سياق الآية، وسياق المقطع، وسياق السورة، وسياق القرآن كله.

وبناء على هذا يمكن القول إن السياق القرآني، وفهم دلالته أصل من أصول التفسير المعتبرة.

أهمية البحث وسبب اختياره:

نظراً إلى ما لتفسير القرآن من علاقة بقضية السياق، وفهم الدلالة – لتوقف مفهوم المفردة، من خلال هيأتها، ونظمها في الجملة مع الجُمل الأخرى، وعلاقاتها بها في فهم المراد منها عليها– فقد صار بحثها ضرورة يقتضيه الدرس النحوي بشواهد من القرآن الكريم.

وفضل السبق في هذا الموضوع راجع إلى ما اقتضته السُنَّة الشريفة من فَهْمِ الرسول ﷺ وتفسيره للنصوص المتعلقة بألفاظ القرآن ودلالتها من السياق، وإلى جانبه ﷺ اشتهر نفر من الصحابة الأوائل ﷺ بشرح وبيان معاني الألفاظ القرآنية من السياق، مثل: علي بن أبي طالب، وابن عباس، وابن مسعود، والفضل موصول فيما بعد إلى علماء المسلمين منهم: الإمام مسلم بن

سيَّار، والشافعي، والعز بن عبد السلام، وشيخ الإسلام ابن تيمية، وابن القيم الجوزية؛ ولبعض اللغويين(أصحاب المعاني) مثل: أبي عبيدة، والفرَّاء، والزَّجاج، والأخفش؛ لجهودهم العظيمة في الاهتمام باللغة، والسياق، والدلالة، والمقام، ومقتضى الحال، ومقتضى المقام في تفسير القرآن، وإعرابه.

وللغة والسياق والقرينة أهمية كبرى في تفسير اللفظ القرآني وبيان معناه ودلالته، وفهم المعنى من العبارة، إذ هم مُعِينون على تحديد دلالة الكلام عند مخالفة ظاهره المقصود به، ومؤمنانه من اللَّبْسِ، وأنَّهما وسيلتان من وسائل تصويب فهم المخطئ لنصوص العقيدة الصحيحة، والردِّ على المنحرفين.

تأسست فكرة البحث وإشكالية الموضوع على أساس أهمية أثر الدلالة النحوية والقرينة والسياق من الحرف في الجملة القرآنية، وسقط هذا الأثر– أحيانًا–من الاستعمال في اللغة.

وإتباعًا لجهود سابقة في الوقوف على هذه القضية، عزمت على البحث في موضوع وسمته بعنوان: **من دلالة الحرف في القرآن (حروف مختارة للدراسة)**؛ لعلي أقف من خلاله على بعضٍ من جوانب أثر الدلالة النحوية والسياق في توجيه المعنى للحروف المختارة للبحث، واسترشد إلى مجمل دلالتها، وتعيين محتملها، ومعرفة بعض قيودها التركيبية وأشراط إفادتها؛ لأنَّ المعنى هو الغاية من أي تركيب في الجملة المعبَّر بها.

المنهج المتبع:

وكان منهجي في البحث استقصائيًّا تتبعيًّا يهتم بالحرف ودلالته من خلال السياق في النصوص المختارة للبحث من الآيات الكريمة ، والمقارنة بينها في مدار القرينة والسياق، ورصد أثر المقارنة عند أشهر علماء اللغة؛ وصولاً للمعنى المراد والموجه إليه.

وفي هامش صفحات البحث راعيت اختصار بيانات توثيق المصادر والمراجع التي اطلعت عليها تاركةً تفاصيلها في فِهرس المصادر والمراجع.

وَلَمَّا كان عنوان البحث: **من دلالة الحرف في القرآن(حروف مختارة للدراسة)**، فقد عرضتُهُ في مقدمة، وموضوع، وخاتمة.

الدراسات السابقة:

ولقد استفدت من مصـــادر ومراجـــع متنوعة أثناء البحث جمعت بين القِدم والحداثة، أذكر

منها – على سبيل المثال لا الحصر – **مغني اللبيب عن كتب الأعاريب لابن هشام الأنصاري، ومعاني القرآن لأبي الحَسن الأخفش، والتبيان في إعراب القرآن لأبي البقاء العُكبري، ومعاني القرآن للفرَّاء، ومعاني القرآن وإعرابه للزَّجاج، ودراسات في اللغة والنحو لإبراهيم السامرائي، وعلم الدلالة لأحمد مختار عمر، والمعاني المشتركة بين حروف الجر، لفاضل السامرائي.**

أمَّا المقدمة فسطرت فيها أهمية الدلالة في الحرف، وأثر السياق والقرينة في تحديد هذه الدلالة، والفكرة التي تأسس عليها البحث، والمنهج المرسوم في دراسته، والإشارة إلى بعض المصادر المستفاد منها.

أما الموضوع فتناولت فيه المفهوم اللُّغوي والاصطلاحي للدلالة بعامة، والنحوية بخاصة وأثرها في حروف الجملة القرآنية المختارة للدراسة وهي(إلاَّ، إنْ وأنْ، إذْ، ما، مِن، هل)، وقسَّمته إلى ستة مطالب وهي: دلالة إلاَّ، دلالة إنْ وأنْ، ودلالة إذْ، ودلالة ما، ودلالة مِن، ودلالة هل.

أما الخاتمة فتضمنت أهم نتائج البحث.

الموضوع:

ترتكز الدلالة النحوية على الجانب الوظيفي نتاج العلاقات القائمة بين الكلمات داخل الجملة، وقد يسهم علم النحو والسياق في الأسلوب في تطور الدلالة الناشئة من كثرة استعمال لفظ ما، في موضع معين؛ فمثلاً كلمة (الفشل) لغة تدل على الضعف[1]، ولكن كثرة استشهاد الناس بها وورودها في القرآن كما في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ﴾ الأنفال: 46. وذلك في موطن التنازع المؤدي إلى الإخفاق عادة جعلهم يظنون أنَّ معنى الفشل هو الإخفاق[2].

ولما كانت اللغة هي تراكيب مؤلفة ضم بعضها إلى بعض[3] فإن الكلمة المفردة عاجزة عن كشف الأفكار والمعاني المحبوسة في الصدور والتي تحتاج إلى عدد كثير من الكلمات يرتبط بعضها مع بعضها الآخر؛ لأداء فكرة معينة، ومن ثمَّ تظهر أهمية السياق النحوي الذي تعيّن فيه لكل كلمة الوظيفة الخاصة بها في الجملة، وتحدد الارتباطات الوظيفية بين عناصر هذه الجمل.

(1) لسان العرب، ابن منظور(فشل).

(2) ينظر: فقه اللغة، محمد المبارك: 213.

(3) ينظر: دراسات في اللغة والنحو، إبراهيم السامرائي: 126.

الدلالة لغة: من دَلَّ يَدُلُ، والدليلُ ما يُسْتدلُ به، وهو الدَّالُ، وقد دَلَّه على الطريقِ يَدلُّهُ دَلالةً، ودِلالةً ودُلُولةً، والدَّليلي عِلمه بالدلالة ورسوخه فيها [1].

الدلالة اصطلاحًا: ((هي العِلم الذي يدرس المعنى، أو ذلك الفرع الذي يدرس الشروط الواجب توافرها في الرمز حتى يكون قادرًا على حمل المعنى)) [2].

أما **الدلالة النحوية** فهي المعنى الذي يفرضه نظام الجملة بسبب ترتيب الألفاظ داخل التركيب وعلاقاتها فيما بينها، بحيث يكون الارتباط بين الكلمات بحسب قوانين لغوية خاصة بالنظام النحوي؛ لتؤدي كل كلمة وظيفة معينة [3] .

ومن هذه الدلالة دلالة الحروف التي تحدد فيها المعاني وفق وجهين: الأول: المعنى الذي تجلبه معها هذه الحروف، كالاستفهام، والنفي، والجرِّ... .

الثاني: المعنى الذي يحدده السياق لهذه الحروف من خلال الجمل التي تعتمد السياق في توضيح المعنى. وللبحث في هذه الموضوع سأحدد بعضًا من هذه الحروف وهي: إلاَّ، إنْ وأنْ، إذ، ما، مِن، هل.

المطلب الأول: دلالة (إلاَّ):

أولاً: دلالة (إلاَّ) على (الواو).

قال تعالى: ﴿ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ ﴾ البقرة: 150. ذهب أبوعبيدة[4] والأخفش[5]، إلى أنَّ (إلاَّ) بمنزلة الواو... [6].

---

(1) الصحاح، الجوهري: (دلل)، واللسان(دلل).

(2) علم الدلالة، أحمد مختار عمر: 11.

(3) ينظر: دلالة الألفاظ، إبراهيم أنيس: 48.

(4) مَعْمَر بن المثنى التيمي(110- 209هـ) البصري، النحوي من أئمة العلم بالأدب واللغة، له مؤلفات منها مجاز القرآن. الأعلام، للزركلي 7: 272.

(5) هو سعيد ين مسعدة المجاشعي، أبو الحسن المعروف بالأخفش الأوسط، نحوي، عالم باللغة والأدب من أهل بلخ، سكن البصرة وأخذ العربية عن سيبويه، صنف كتبًا منها: شرح أبيات المعاني، تفسير معاني القرآن. الأعلام، 3: 102.

(6) ينظر: مجاز القرآن، 1: 60. ومعاني القرآن ، الأخفش، 1: 343.

أمَّا الفرَّاء [1]، فقد تساءل: ((كيف استثنى الذين ظلموا في هذا الموضع؟ ولعلهم توهموا أنَّ ما بعد إلاَّ يخالف ما قبلها...)) [2]. وفي قوله تعالى: ﴿إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ ﴿١٠﴾ إِلَّا مَن ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًا بَعْدَ سُوءٍ فَإِنِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ النمل:10- 11.

وفي الآية بين الفرَّاء اللَّبس الدلالي بوجهين: ((أحدهما أن تقول إنَّ الرسل معصومة مغفور لها آمنة يوم القيامة، ومن خلط عملاً صالحًا وآخر سيئاً فهو يخاف ويرجو فهذا وجه، والآخر أن تجعل الاستثناء من الذين تركوا في الكلمة؛ لأنَّ المعنى لا يخاف المرسلون إنَّما الخوف على غيرهم ثم استثنى فقال: إلاَّ من ظلم فإنَّ هذا لا يخاف، يقول: كان مشركًا فتاب وعمل حسنًا فذلك مغفور له ليس بخائفٍ)) [3].

وبهذا فقد وجَّه الفرَّاء تفسير الآية ليرفع اللبس، إذ جعل الوجه الأول اعتقاديًا، وأمَّا الثاني فقد وجهه توجيهًا نحويًا.

وفي موضع آخر علل الفرَّاء ذلك بقوله: ((ولم أجد العربية تحتمل ما قالوا، لأني لا أجيز قام الناس إلاَّ عبد الله وهو قائم؛ إنَّما الاستثناء أن يخرج الاسم الذي بعد إلاَّ من معنى الأسماء قبل إلاَّ)) [4].

ثانياً: دلالة (إلاَّ) على (لكن).

قال تعالى: ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾ البقرة: 150.

ذهب الزَّجاج[5] والأخفش إلى أنَّ (إلاَّ) بمعنى لكن[6]، ولكن الزَّجاج خالف الأخفش قائلاً: ((قال بعضهم لكن الذين ظلموا منهم فلا تخشوهم، والقول عندي إنَّ المعنى في هذا واضح:

---

(1) هو يحيى بن زياد، أبو زكرياء، أبرع الكوفيين وأعلمهم بالنحو واللغة ، له من المصنفات الحدود، المعاني والجمع والتثنية في القرآن (ت:207هـ). وفيات الأعيان، ابن خلكان،6 :176.

(2) معاني القرآن 1: 89.

(3) المصدر نفسه، 2: 287.

(4) المصدر نفسه، 2: 287.

(5) هو إبراهيم بن السري أبو إسحاق الزَّجاج النحوي، له من التصانيف معاني القرآن، كتاب الاشتقاق (ت:311هـ). شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ابن العماد، 2: 259.

(6) معاني القرآن، الزَّجاج 1: 226- 227.

المعنى لئلا يكون للناس عليكم حجة، إلاَّ من ظلم باحتجاجه فيما قد وضح له...)) [1].

ثالثاً: دلالة (إلاَّ) على (سِوى).

قال تعالى: ﴿ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ ﴾الدخان: 56. دلل الفرَّاء بالقياس على دلالة (إلاَّ) على سوى بالآية ﴿ وَلَا تَنكِحُوا۟ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ﴾النساء: 22. فـ (إلاَّ) في هذه الآية بمنزلة سوى، كأنَّه قال: لا تنكحوا؛ لا تفعلوا سوى ما قد فعل آباؤكم... ومثله آية ﴿ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴾ هود: 107. أي سوى ما شاء ربك لهم من الزيادة على مقدار الدنيا من الخلود [2] . ووافق الزَّجاج الفرَّاء في تفسير الآيتين: ((المعنى لا يذوقون فيها الموت البتة سوى الموتة الأولى التي ذاقوها في الدنيا))[3]

المطلب الثاني: دلالة (إنْ، وأنْ).

لابن قتيبة [4] رأيان في (إنْ) الخفيفة:

الأول: أن تكون بمعنى (لقد)، نحو قوله تعالى: ﴿إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴾ الإسراء: 108. وكقوله تعالى: ﴿ تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ الشعراء: 97.

الثاني: أنَّها تكون بمعنى (إذ)، مثل قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ آل عمران: 139. أي: إذ كنتم، وذكروا أنَّها عن أهل اللغة لا يجعلونها بمعنى (إذ)، ويذهبون إلى أنَّها في هذا الموضع بمعنى (مَن) أي: مَن كان مؤمنًا لمن يهن [5].

وتناول الأخفش دلالة (إنْ) الخفيفة بمعنى (ما) في سياق الآية الكريمة: ﴿ إِنِ ٱلْكَٰفِرُونَ إِلَّا فِى غُرُورٍ ﴾ الملك: 20. فقال: أي ما الكافرون.

---

(1) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

(2) ينظر: معاني القرآن، الفرَّاء 3: 44.

(3) معاني القرآن، الزَّجاج 4: 428.

(4) هو عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، من أئمة الأدب، توفي في بغداد، من كتبه تأويل مختلف الحديث، مشكل القرآن. الأعلام 4: 137.

(5) تأويل مشكل القرآن 553.

وفي قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ مَكَّنَّٰهُمْ فِيمَآ إِن مَّكَّنَّٰكُمْ فِيهِ ﴾ الأحقاف: 26. فإن في الآية بمنزلة(ما) [1] .

كما ذكر أنَّه تكون للمجازاة كما في الآية الكريمة: ﴿ وَإِن تَعْفُواْ وَتَصْفَحُواْ وَتَغْفِرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ التغابن: 14.

وتكون زائدة مع (ما) ((وتزاد إنْ مع ما يقولون: ما إن كان كذا وكذ، أي: ما كان كذا وكذا))[2]، وتكون خفيفة في معنى الثقيلة وهي مكسورة، وتكون اللام في هذه الحال في خبرها لكي لا تلتبس بالتي معناها (ما)، وهي كالتي وردت في سياق قوله تعالى: ﴿ إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ﴾ الطارق: 4.

كما تناول دلالة (أَنْ) الخفيفة المفتوحة الهمزة بحسب السياق الذي وردت فيه، فتكون زائدة مع (فلمَّا)، (لما)، نحو قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّآ أَن جَآءَ ٱلْبَشِيرُ أَلْقَىٰهُ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ فَٱرْتَدَّ بَصِيرًا ﴾ يوسف: 96. قال: ((وإنَّما هي فلمَّا جاء البشير))[3]. قال الرافعي عن زيادة (أنْ مع فلمَّا): ((إنَّ في هذه الزيادة لونًا من التصوير لو حذف من الكلام لذهب بكثير من حسنه وروعته، والمراد من التصوير رصد الفصل بين قيام البشير ومجيئه، للبعد الذي كان بين يوسف ويعقوب عليهما السلام، وفي ذلك يرتسم كأنَّه كان منتظرًا بقلق واضطراب تؤكدهما، وتصف الطرب لمقدمه واستقراره غنة هذه النون في الكلمة الفاصلة وهي أنْ، في قوله أنْ جاء)) [4].

وفي قوله تعالى: ﴿ وَلَمَّآ أَن جَآءَتْ رُسُلُنَا ﴾ العنكبوت: 33. أي: ولما جاءت. وتزاد مع لو نحو: أنْ لو جئتني كان خيرًا. والمعنى لو جئتني [5].

وتكون بمعنى (أي)، وذلك مثل قوله تعالى: ﴿ وَٱنطَلَقَ ٱلْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ ٱمْشُواْ وَٱصْبِرُواْ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمْ ﴾ ص: 6. والمعنى: أي امشوا.

---

(1) معاني القرآن، الأخفش 1: 289.

(2) المصدر نفسه، 1: 290.

(3) معاني القرآن، الأخفش 1: 297.

(4) إعجاز القرآن والبلاغة النبوية 163- 164.

(5) معاني القرآن، الأخفش 1: 297.

وتكون خفيفة في معنى الثقيلة، نحو قوله تعالى: ﴿ وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ يونس: 10. على قولك أنَّه الحمد لله. وذكر ((أنَّها تعمل في الفعل وتكون هي والفعل اسما للمصدر، نحو قوله تعالى: ﴿ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُۥ ﴾ القيامة: 4. إنَّما هي على تسوية بنانه))[1].

المطلب الثالث: دلالة (إذ).

ذكر النحاة استعمالات(إذ) وبينوا أنَّها على أربعة أوجه [2] :

الأول: أن تكون اسمًا للزمن الماضي، ولها أربعة استعمالات: أن تكون ظرفًا وهو الغالب نحو قوله تعالى: ﴿ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ﴾ التوبة: 40. أن تكون مفعولاً به مثل قوله تعالى: ﴿ وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ ﴾الأعراف: 86. والغالب على المذكورة في أوائل القصص في التنزيل أن تكون مفعولاً به بتقدير: اذك. نحو قوله تعالى:﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾البقرة: 30. أن تكون بدلاً من المفعول به مثل قوله تعالى:﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴾ مريم: 16. فـ (إذ) بدل اشتمال من مريم، أن يكون مضافًا إليها اسم زمان صالح للاستغناء عنه نحو: (يومئذ، وحينئذ)، وغير صالح له نحو: قوله تعالى: ﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ﴾ آل عمران: 8.

الثاني: أن تكون اسمًا للزمن المستقبل كقوله تعالى: ﴿ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴾ الزلزلة: 4.

الثالث: أن تكون للتعليل، نحو قوله تعالى: ﴿ وَلَن يَنفَعَكُمُ ٱلْيَوْمَ إِذ ظَّلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِى ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴾ الزخرف: 39.

---

(1) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

(2) ينظر: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، لابن هشام الأنصاري 1: 102- 103.

الرابع: أن تكون فجائية وهي الواقعة بعد(بينا أو بينما)، كقول الشاعر[1] :

اسْتَقْدِرِ اللهَ خيرًا وَارْضَيَنَّ به فبينمَا العُسْرُ إِذْ دَارَتْ مَيَاسِيْرُ

وفي (إذ) أقوال للنحاة [2].

المطلب الرابع: دلالة (ما).

قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسۡتَحۡيِۦٓ أَن يَضۡرِبَ مَثَلٗا مَّا بَعُوضَةٗ فَمَا فَوۡقَهَا ﴾البقرة: 26.

تباينت آراء أصحاب المعاني في دلالة(ما) في الآية، ذهب أبو عبيدة إلى أنَّها زائدة، فقال: ((معناها...أن يضرب مثلاً بعوضة، (ما) توكيد للكلام من حروف الزوائد)) [3]، وإلى مثله ذهب الأخفش فقد استعان بالسياق للتدليل على زيادتها فقال: ((مثلاً ما بعوضة... لأنَّ (ما) زائدة في الكلام، إنَّما هو إنَّ الله لا يستحيي أن يضرب بعوضة مثلاً)) [4].

ويظهر للباحثة أنَّ الأخفش لم يستعنِ عن زيادة (ما) إلاَّ بإسقاطها من السياق، وهذا يعني أنَّ السياق يستغني عنها، ويؤدي المعنى المراد دون خلل، وبذلك يكون الأخفش قد نَهَجَ نَهْجَ أبي عبيدة للكشف عن دلالة هذا الحرف.

أمَّا الفرَّاء فلم يصرح بزيادتها إلاَّ أنَّه أشار قائلاً: ((أن توقع الضرب على البعوضة، وتجعل (ما) صلة كقوله الآية: ﴿ عَمَّا قَلِيلٖ لَّيُصۡبِحُنَّ نَٰدِمِينَ ﴾ المؤمنون: 40. يريد عن قليل، والمعنى: والله أعلم إنَّ الله لا يستحيي أن يضرب بعوضة فما فوقها مثلاً)) [5]، وقوله صِلة في هذه الآية تأدبًا مع الله ﷻ ؛ لأنَّ الزيادة لا يراها ملائمة في سياق الآيات القرآنية.

---

(1) هو جَبَلَة العُذْرِي، عبد المسيح بن بُقَيْلَة الغسَّابِي من قصيدة:

استـقدر الله خـــيرًا وارْضَيَنَّ فبينمَا العُسْــرُ إِذْ دارتْ مياســيرُ
تأتي أمورٌ فما تدْرِي أعَاجِلُهَا خيْــرٌ لِنفْسِكَ أمْ ما فيه تأخِـــيرُ
وبينما المرْءُ في الأحياءِ مُغْتَبِطًا إِذْ صار في الرَّمْسِ تعفوهُ الأعاصيرُ
يبكي الغريبُ عليه ليس يعْرِفُهُ وذو قرابتِـــهِ في الحيِّ مسْـــرورُ

ينظر: الحماسة البصرية، أبو الحسن البصري1: 136.

(2) ينظر: مغني اللبيب، لابن هشام 1: 105.

(3) مجاز القرآن 1: 35.

(4) معاني القرآن 1: 215.

(5) معاني القرآن 1: 20.

أمَّ الزَّجاج فقد رجَّح زيادتها بقوله: ((فأمَّا أجود هذه الجهات فأن تكون (ما) زائدة مؤكدة، كأنَّه قال: إنَّ الله لا يستحيي أن يضرب بعوضة مثلاً، ومثلاً بعوضة و(ما) زائدة مؤكدة...))[1].

ذهب الفرَّاء والزَّجاج إلى ((أن تجعل (ما) اسما، وذلك جائز في (مِن) و(ما) لأنَّهما يكونان معرفة في حالٍ، ونكرة في حالٍ))[2]، وذهب الزَّجاج أن تكون نكرة بمعنى شيء، والمعنى: أن الله لا يستحيي أن يضرب شيئًا مثلاً، وكأنَّ بعوضة في موضع وصف شيء [3].

وتأتي بمعنى الذي ولهذا المعنى أشار الأخفش وكان ناقلاً له عندما قال: ((يجعلون (ما) بمنزلة الذي، ويضمرون هو، كأنَّهم قالوا: لا يستحيي أن يضرب مثلاً الذي هو بعوضة))[4]، وإلى هذا الرأي أشار الزَّجاج فقال: ((فالرفع على إضمار هو كأنَّه قال مثلاً الذي هو بعوضة، وهذا عند سيبويه ضعيف)) [5]، وإلى مثل هذا ذهب ابن هشام، وهو يختار أن تكون (ما) استفهامية مبتدأ وبعوضة خبرها، والمعنى: أي شيء البعوضة فما فوقها في الحقارة، وذكر ابن هشام أنَّ أكثر النحاة على أنَّها موصولة، أي الذي هو بعوضة [6].

أن تأتي على إضمار (بين) بعدها، وهذا الوجه فضَّله الفرَّاء عندما قال: ((تجعل المعنى على إنَّ الله لا يستحيي أن يضرب مثلاً ما بين بعوضة إلى ما فوقها)) [7].

ومن عرض الآراء يتضح أنَّ رأي الفرَّاء بإضمار بين بعدها أكثر توافقًا مع السياق، فمثلاً دلالة السياق على تصغير، أو تحقير المِثل، وعندما تكون (ما) بمعنى الذي ستكون الدلالة العامة أكثر توقيرًا؛ لأنَّها تستعمل للعاقل وغير العاقل، كذلك الحال في جعلها نكرة؛ لأنَّ المعنى سيكون عامًا.

---

(1) معاني القرآن 1: 103.

(2) معاني القرآن، الفرَّاء 1: 21. ومعاني القرآن، الزَّجاج 1: 104.

(3) معاني القرآن 1: 104.

(4) معاني القرآن 1: 215.

(5) معاني القرآن 1: 104. وينظر: الكتاب، سيبويه 1: 138- 144.

(6) ينظر: مغني اللبيب 1: 314.

(7) معاني القرآن 1: 22.

المطلب الخامس: دلالة (مِن):

تدل (مِن) على ابتداء الغاية وهو الغالب عليها[1]، فقد تكون في ابتداء غاية الأمكنة نحو قوله تعالى: ﴿ سُبْحَانَ ٱلَّذِيٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ﴾ الإسراء: 1. أو تكون ابتداء غاية الأزمنة، فقد ذهب الأخفش إلى أنَّها بمعنى منذ في أثناء تفسيره لقوله تعالى: ﴿ لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ ﴾التوبة: 108. قال: ((يريد منذ أول يوم، لأنَّ من العرب مَن يقول لم أره من يوم كذا، يريد منذ أول يوم))[2]. وعلل الزَّجاج دخول (مِن) في الزمان؛ لأنَّها الأصل في ابتداء الغاية والتبعيض [3].

ومن دلالتها على التبعيض قول الله تعالى: ﴿ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ ۖ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ ﴾ البقرة: 253. فعلامتها إمكان سدِّ بعض مسدها [4]، وقد تكون للتعليل نحو قوله تعالى: ﴿ مِّمَّا خَطِيٓـَٰٔتِهِمْ أُغْرِقُوا۟ فَأُدْخِلُوا۟ نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا۟ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَنصَارًا ﴾ نوح: 25. ووجَّه أبوعبيدة (من) في الآية أنَّها من خطيآتهم [5] أي: بحذف ما، وجعلها الفرَّاء على مذهب الجزاء وأنَّ ما صلة فيما ينوى به الجزاء [6] .

والمعنى: أي من أجل خطاياهم أغرقوا، وإنَّ ما زائدة [7]. وذكر ابن هشام معاني أخرى لـ (مِن)[8]، نحو: بيان الجنس في قوله تعالى: ﴿ مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ ﴾ البقرة: 106. أو معنى البدل مثل قوله تعالى: ﴿ أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلْءَاخِرَةِ ﴾ التوبة: 38.

---

(1) ينظر: مغني اللبيب 1: 218.
(2) معاني القرآن 2: 561.
(3) ينظر: معاني القرآن 2: 478.
(4) ينظر: مغني اللبيب 1: 319.
(5) مجاز القرآن 2: 271.
(6) معاني القرآن3: 189.
(7) ينظر: التبيان في إعراب القرآن، العكبري2: 1242.
(8) مغني اللبيب1: 219.

أمَّا ابن قتيبة فقد جعل (مِن) مكان على[1] واستشهد بقوله تعالى: ﴿ وَنَصَرْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ ﴾ الأنبياء: 77. ويكون المعنى ونصرناه على القوم الذين كذبوا.

ومعنى (النصر على) من المعاني التي استعملها القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿ فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ البقرة: 286. وقوله تعالى: ﴿ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ ﴾ التوبة: 14. فالمعنى هنا للتمكين منهم، والغلبة عليهم [2]، وهذا المعنى يخالف معنى (ينصره مِن)، لما فيه من التمكن والاستعلاء عليه.

وفي المقابل أنَّ معنى (نصرناه منهم) يعني: نجيناه منهم، أو منعناه منهم، قال تعالى: ﴿ وَيَٰقَوْمِ مَن يَنصُرُنِى مِنَ ٱللَّهِ إِن طَرَدتُّهُمْ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ هود: 30. فينتفي أن يكون المعنى في الآية من ينصرني على الله، بل ينجيني ويمنعني منه؟

وينطبق أيضًا على قول الله تعالى: ﴿ فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ بَأْسِ ٱللَّهِ إِن جَآءَنَا ﴾غافر: 29.

لهذا كله فإنَّ(مِن) لا تكون بمعنى(على) في الآية التي ذكرها ابن قتيبة.

وإن جاءت من بعد الفعل نصر فيكون معناه (نجيناه)، واستعمل القرآن الفعل (نصرناه) بمعنى نجيناه أخذنا له حقَّه منهم، في حين لو استعمل لفظ(نجيناه) لكانت دلالته على النجاة فقط، ويجوز أن يقال: نجيته من الغرق، ولا يجوز أن يقال: نصرته من الغرق؛ لأنَّ الغرق ليس شيئًا ينتصف منه[3].

المطلب السادس: دلالة (هل):

قال ابن هشام: ((حرف موضوع لطلب التصديق الإيجابي، دون التصور، ودون التصديق السلبي))[4]، وقد يدخلها مع الاستفهام معنى التقرير والتوبيخ، نحو قوله تعالى: ﴿ قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَآ ﴾الأنعام: 148. وقوله: ﴿ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن شُرَكَآءَ فِى مَا رَزَقْنَٰكُمْ ﴾ الروم: 28.

(1) تأويل مشكل القرآن 577.

(2) ينظر: الكشاف، الزمخشري 2: 252.

(3) المعاني المشتركة بين حروف الجر، فاضل السامرائي 260.

(4) مغني اللبيب 2: 349.

أمَّا في قوله تعالى: ﴿ هَلۡ أَتَىٰ عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ حِينٞ مِّنَ ٱلدَّهۡرِ ﴾ الإنسان: 1. فقد ذهب أبوعبيدة إلى أنَّ مجازها ((قد أتى على الإنسان، ليس باستفهام)) (1)، وذهب الفرَّاء إلى أنَّ هل قد تكون جحدًا، وتكون خبرًا (2).

ويرى أنَّها بمعنى (قد) معللاً ذلك بقوله: ((فهذا من الخبر؛ لأنَّك قد تقول: فهل وعظتك؟ فهل أعطيتك؟ تقرره بأنَّك قد أعطيته ووعظته)) (3). ومثله قوله تعالى: ﴿ هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلۡغَٰشِيَةِ ﴾ الغاشية: 1. وقوله: ﴿ وَهَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ﴾ طه: 9. وقوله: ﴿ هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيۡفِ إِبۡرَٰهِيمَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ ﴾ الذاريات: 24. فقد نقل ابن قتيبة أنَّها في هذه الآيات بمعنى قد (4).

أمَّا الزَّجاج فقد جمع بين التحقيق والتقرير بقوله: ((ومعنى هل أتى، قد أتى على الإنسان، أي: ألم يأت على الإنسان حين من الدهر)) (5)، وجعلها الزمخشري بمعنى: ((أ قد أتى على التقرير والتقريب جميعًا)) (6)، غير أنَّ ابن هشام يرى أنَّ (هل) لا تأتي بمعنى (قد) أصلاً، وأنَّ الاستفهام في الآية للتقرير (7).

أمَّا معنى النفي فقد ورد في سياق قوله تعالى: ﴿ هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِي ظُلَلٖ مِّنَ ٱلۡغَمَامِ ﴾ البقرة: 210. والمعنى: ما ينظرون إلاَّ أن يأتيهم العذاب. وإلى هذا أشار الزَّجاج دون أن يصرح به قائلاً: ((قال أهل اللغة معناه يأتيهم الله بما وعدهم من العذاب والحساب)) (8). ومثله قوله تعالى: ﴿ هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأۡوِيلَهُۥ ﴾الأعراف: 53.

وقد تكون (هل) بمعنى الأمر، كقوله تعالى: ﴿ فَهَلۡ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴾ المائدة: 91.لفظة استفهام، ومعناه الأمر، لكن الاستفهام أبلغ من الأمر(9).

---

(1) مجاز القرآن2: 279.
(2) ينظر: معاني القرآن3: 213.
(3) المصدر نفسه3: 213.
(4) ينظر: تأويل مشكل القرآن 538.
(5) معاني القرآن 5: 257.
(6) الكشاف 4: 665.
(7) ينظر: مغني اللبيب 2: 352.
(8) معاني القرآن1: 280.
(9) ينظر: التبيان في إعراب القرآن1: 459.

ويظهر من توجيه أصحاب المعاني لدلالات الحروف أنَّها مبنية على التأويل والتحليل بحسب ما يقتضيه السياق.

الخاتمة:

وتتضمن أهم النتائج .

1- أظهر البحث أنَّ السياق النحوي له دور في إبراز دلالة الكلمة في الجملة، وأنَّ الكلمة المفردة غير قادرة عن كشف الأفكار والمعاني المحبوسة في الصدور.

2- أفصح البحث أنَّ لدلالة الحروف وجهين: من حيث المعنى الذي تجلبه هذه الحروف، والمعنى الذي يحدده السياق في الجملة.

3- أظهر البحث في الحروف المختارة للدراسة أنَّ (إلاَّ) ذات ثلاث دلالات، و(إنْ وأنْ) سبع دلالات، و(إذ) أربع دلالات، و(ما) خمس دلالات، و(من) أربع دلالات، و(هل) خمس دلالات، وأن أصحاب المعاني – موضوع الدراسة – اتفقوا واختلفوا في دلالة هذه الحروف.

4- أظهر البحث أنَّ للعلماء آراءً متباينة في تفسير الحروف ممَّا يدل على اتساع معاني اللغة العربية.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم.

أولاً: الكتب.

1- **إعجاز القرآن والبلاغة النبوية**، مصطفى صادق الرافعي، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، ط/1/2000م.

2- **الأعلام، قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين**، تأليف خير الدين الزركلي، دار العِلم للملايين ط/5/1980م.

3- **تأويل مشكل القرآن**، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت: 276هـ)، أحمد صقر، دار التراث القاهرة، ط/2/1973م.

4- **التبيان في إعراب القرآن**: أبو البقاء العكبري،(ت:616هـ) دار الكتب العلمية ط/1/ بيروت 1399هـ= 1979م.

5- **الحماسة البصرية لأبي الحسن البصري**، مصدر الكتاب موقع الوَرّاق.

6- **دراسات في اللغة والنحو**، إبراهيم السامرائي مطبعة العاني، بغداد 1961م.

7- **دلالة الألفاظ**: إبراهيم أنيس، مكتبة الانجلو المصرية، ط/4/1980م.

8- **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، لأبي الفلاح عبد الحي بن عماد الحنبلي، دار الكتب العلمية بيروت لبنان.

9- **الصحاح، تاج اللغة وصحاح العربية**، إسماعيل بن حماد الجوهري،(ت:399هـ) تح: أحمد عبد الغفور عطار، ط/4/دار العِلم للملايين، بيروت 1407هـ= 1987م.

10- **علم الدلالة**، أحمد مختار عمر، دار العروبة الكويت، ط/1/1402= 1982م.

11- **فقه اللغة وخصائص العربية دراسة تحليلية مقارنة للكلمة العربية وعرض لمنهج العربية الأصيل في التجديد والتوليد**، تأليف محمد المبارك، دار الفكر.

12- **الكتاب**، عمرو بن عثمان بن قنبر، سيبويه (ت:180هـ)، تح: محمد عبد السلام هارون المطبعة الأميرية ببولاق 1316هـ، الهيأة المصرية للكتاب.

13- **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**، محمود بن عمر الزمخشري (ت:528هـ) مصطفى حسين دار الكتاب العربي.

14- **لسان العرب**، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الأفريقي (ت:711هـ)، دار صادر بيروت.

15- **مجاز القرآن**، أبوعبيدة معمر بن المثنى(ت:210هـ) تح: محمد فؤاد سزكين، مكتبة الخانجي القاهرة 1381= 1960م.

16- **معاني القرآن للفرَّاء**، يحي بن زياد (ت:207هـ) تح: محمد علي النجار، وعبد الفتاح إسماعيل شلبي وأحمد يوسف نجاتي، وعلي النجدي ناصف، دار السرور بيروت.

17- **معاني القرآن وإعرابه**، إبراهيم بن السري الزَّجاج(ت:311هـ)، تح: عبد الجليل عبدة شلبي، عالم الكتب بيروت ط/1408/1= 1988م.

18- **معاني القرآن**، أبو الحسن الأخفش (ت: 215هـ)، تح: فائز فارس، ط/3/ دار الأمل الكويت 1401= 1981م.

19- **مغني اللبيب عن كتب الأعاريب**، محمد عبد الله جمال الدين بن هشام الأنصاري (ت:761هـ) تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الشام للتراث بيروت.

20- **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، لأبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد ابن خلكان، تح: إحسان عباس، الناشر دار صادر بيروت.

ثانيًا: المجلات.

1- **المعاني المشتركة بين حروف الجر**، فاضل السامرائي، مجلة المجمع العلمي العراقي، 4/ 1988م.